

أحياء ذكرى اليوم الوطني لشهداء المقابر الجماعية



محمد الكحط - ستوكهولم -
تصوير: سمير مزبان

إن إقرار الحكومة العراقية ليوم السادس عشر من أيار/ مايو يوماً وطنياً للمقابر الجماعية في العراق له العديد من المعاني والدلالات التي تشير الى سعة جرائم النظام وضخامة عدد الضحايا لتلك المجازر. فالجرائم التي نفذها النظام البائد امتدت على طول أرض العراق وعرضه، من جبال كردستان شمالاً إلى البصرة جنوباً.. منتهكاً بذلك أبسط المواثيق الدولية لحقوق الإنسان.

لقد شملت جرائمه كل أبناء شعبنا العراقي بمختلف أطيافه ومكوناته وإثنياته وأعرافه، فقد تم الكشف عن حوالي 400 مقبرة جماعية ضمت رفات مئات الآلاف من أبناء شعبنا المسالم، فلم يسلم من جرائم نظام صدام شيخ أو امرأة أو طفل أو رجل ولا يزال القسم الأكبر من المقابر غير معروف بل يتم إكتشافها بالصدفة.



وبهذه المناسبة أحييت السفارة العراقية بالتعاون والتنسيق مع المركز الثقافي العراقي في السويد ذكرى المقابر الجماعية يوم 2013/5/27 في احتفال حضره القائم بأعمال السفارة العراقية الوزير المفوض

الدكتور حكمت داود والسلك الدبلوماسي بالإضافة إلى الدكتور أسعد الراشد مدير المركز والدكتور وليد أمين محمود المستشار في الملحقة الثقافية العراقية.

وحضر الفعالية العديد من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي المتواجدين في السويد ومسؤولة ملف العراق في وزارة الخارجية السويدية وممثلي القوى والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني العراقية والعديد من الشخصيات الوطنية ووسائل الإعلام.



إستقبل القائم بالأعمال وزوجته والموظفون الدبلوماسيون في السفارة العراقية السادة المدعوين حيث تم التجوال في المعرض الفوتوغرافي الخاص بضحايا المقابر الجماعية.



وفي بداية الاحتفال وقف الجميع دقيقة صمت إجلالاً للشهداء مع عزف للنشيد الوطني وكلمات مؤثرة لمدير المركز الثقافي العراقي مجد فيها الشهداء وضحايا المقابر الجماعية داعياً إلى إستذكارهم وواعداً

إياهم بأن لا نخذلهم فميتهم للمرة الثانية بعدم السعي الجاد لتحقيق الأهداف والآمال التي استشهدوا من أجلها.



بعدها رحبت السكرتير الأول السيدة بان فضلي بالضيوف جميعاً باللغتين العربية والانكليزية بأسم السفارة العراقية وأشارت إلى كلمة وزير حقوق الإنسان وتوجيهات وزير الخارجية العراقي لأستذكار المناسبة، وقدمت القائم بأعمال السفارة العراقية الدكتور حكمت داود جبو ليلقي كلمة السفارة بالمناسبة، إذ جاء فيها: ((نستذكر اليوم يوم السادس عشر من أيار من كل عام يوماً للمقابر الجماعية التي سببها النظام البعثي الدموي في العراق. وقبل أكثر من شهر وقفنا إجلالاً لأرواح شهداء مذبحة حلبجة والأنفال وتسلسل المآسي التي سببها البعث مستمراً منذ أكثر من أربعين عاماً. والسؤال الذي يفرض نفسه في هذه المناسبة هو، أما كان بالإمكان تجنب هذه المقابر الجماعية؟ أما كان بالإمكان أن نتحاور لنصل سوية الى مشتركات للعيش بسلام؟ أليس هناك متسع في هذا الوطن ليحتوينا جميعاً بمساحاته الواسعة وقلبه الكبير وعمقه التاريخي العريق؟

لم يلتفت هؤلاء الظالمون الى الخلف ليعرفوا أن هذه الأرض الطيبة كانت قد احتضنت اللغة الأولى والمعرفة الأولى والحضارة الأولى. وبدلاً من أن يعيدوا صرح حضارتنا الى الواجهة أقدموا على إعطاء صورة بشعة دموية مدمرة للعالم، أن من قاموا بذلك لا ينتمون الى العراق بل هم سليلوا الظلامية والفكر الشوفيني وممن لا يحبون الخير للبشرية.

أي مجد حققه هؤلاء البعثيون ومن سار في فلكهم مما اقترفوه من بشاعة وحقد وقبح ودموية؟ ان من يتستر على هؤلاء المجرمين لابد وان يدفع ثمن جريمته، وان لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد.
يا أحرار العالم.. أيها الشرفاء في كل مكان... مئات الآلاف من العراقيين دفنوا لا لشيء إلا لأنهم لا ينتمون الى الحقد والبغضاء. لقد نزع هؤلاء الضحايا أحلامهم وأمانيتهم ودفء عوائلهم واقتقدوا بسمة أطفالهم وأهاليهم.. كانوا عشاقاً كباراً للوطن والحرية والخير والإنسانية ولكنهم في غفلة من الزمن فقدوا كل ذلك.. كان إعصاراً أسوداً ترك آثاره على الإنسان والأرض، وسجلوا في التاريخ عاراً.. عار على ذلك الفكر وذلك الحزب وتلك الشخصيات التي اتخذت القرار. لقد نحت البعثيون أسمهم في مزابل التاريخ. هذا هو مكانهم الحتمي. ونقول لهم أن هذه الأرض المباركة، أرض العراق العظيم، لابد وان تعود الى واجهة التاريخ لتعلن للعالم أن هناك مجداً وكبرياءً وألقاً قادماً بيد أبناء الشهداء وأحفادهم. علينا أن لا ننسى تضحياتهم فسوف نتذكرهم كل عام في السادس عشر من أيار الذي هو يوم المقابر الجماعية في العراق. الرحمة لشهداء المقابر الجماعية.. المجد للشهداء، كل الشهداء على اختلاف اثنيتاتهم وأعرافهم ومكوناتهم. عاش العراق.))



بعدها أُلقيت كلمة هيئة الأحزاب والقوى السياسية العراقية في السويد، التي قدمها السيد صباح نور و جاء فيها: ((نقف اليوم معاً لنستذكر جريمة ضد الإنسانية، جريمة المقابر الجماعية. نستذكر هذه الجريمة من أجل الإنسانية ومن أجل المستقبل. أيها السيدات والسادة.... نقف اليوم جميعاً في كل دول العالم لمواجهة الإرهاب.

والإرهاب يبدأ من الفكر وينتهي بالجريمة. ان الفكر البعثي لنظام صدام الدكتاتوري قد بدأ بفكر إرهابي ونتائج إرهابية وجرائم ضد الإنسانية قتل مئات الآلاف من المدنيين العزل بشكل جماعي ودفنهم بمقابر جماعية.

وصمة عار في التاريخ البشري إذا لم نقف جميعاً لندينها ونعتبرها على المستوى الدولي جريمة ضد الإنسانية، ونعمل على تحقيق ذلك مع أصدقائنا الخيرين ، وفاء منا لشهداء الحرية ولضمان مستقبل زاهر لأبنائهم .

سيداتي وسادتي ان ما يحصل اليوم من إرهاب في بلدان عديدة، وقتل الأبرياء من قبل الإرهابيين وقوى الظلام، بشكل عشوائي وجماعي، من خلال العمليات الإرهابية هي امتداد لتلك الجرائم وتلك الأفكار المظلمة لذلك يجب علينا ان نقف معاً بوجه هذه الأفكار وهذا الإرهاب ونواجه هذا الفكر ونستذكر جرائم عصابة البعث وكل الجرائم الإرهابية.

ان ثورة الشعب العراقي في ١٩٩١ كانت ثورة من اجل الحرية والديمقراطية، ثورة ضد الدكتاتورية وضد جرائمه ،التي لم تكن ضد الشعب العراقي فقط بل طالت الجوار الإقليمي، حيث احتلال دولة الكويت الشقيقة عام 1990 وترويع شعبها من جراء جرائم ذلك النظام أيضاً.))



كما جاء في كلمة اتحاد الجمعيات العراقية في السويد التي قدمها رئيس الاتحاد السيد عبد الواحد الموسوي ما يأتي: ((الى هؤلاء الضحايا الأبرياء، التي ضاعت أصواتهم في غياهب الصمت، وذابت

أجسادهم في رمال الصحارى، أما أرواحهم فما زالت تحدثنا وترجونا أن لا ننساها. "مقبرة جماعية" أنها ليست مفردة مأساوية وكفى، بل ان وجودها وتكرارها ضروري في ظروف تشهد البلاد فيها صراعا سياسيا وفقرا اجتماعيا اقتصاديا واسعا، ان حديث المقابر الجماعية موجه، لكن لابد منه.. لإيقاظ الروح الجماعية فهو تذكير العالم بما ارتكبه النظام الدكتاتوري المقبور من جرائم، ومواجهة أي محاولة لإنكارها أو التقليل من فظاعتها. هذه الجريمة الفظيعة لا يمكن لها ان تجد سبيلا طبيعيا بما يسمى بالمصالحة الوطنية التي صممت على ما يبدو لإعادة تأهيل بقايا البعث الجلاذ لضحيته من شعبنا المكثوم. ان بقايا أيتام صدام تستقر بأموالها ونفوذها وعلاقاتها، في الدول العربية، وتحاول استغلال تعثر العملية السياسية وتفشي الفساد، لإقناع الأوساط السياسية العربية بعدم جدوى الإنفتاح على العراق، كما توظف النزعات الطائفية للإساءة الى العراق ما بعد الدكتاتورية، عراقنا الجديد. إن ذكرى ضحايا المقابر الجماعية لا تحجب عنا مشهد المقابر الجديدة التي زرعتها الإرهابيون في العراق، كما لا تحجب عنا حقيقة تعاون أطراف سياسية مع هؤلاء، واستخدامهم كورقة ضغط في التفاوض على المكاسب وصراع الكراسي..)).



هذا وقد دخل قارع الطبول ليذكرنا ويشعرنا بنبضات قلوب الضحايا وهم بانتظار الموت على أيدي مجرمي النظام الصدامي .. بعدها عرض الفلم الوثائقي الذي يتضمن مشاهد مؤلمة ومؤثرة لممارسات النظام البشعة والمقابر الجماعية التي عثر عليها على طول البلاد وعرضها وردود فعل أهالي الضحايا وأبنائهم ..

بعدها قدم الشاعر الشاب أحمد العزاوي قصيدة بالمناسبة

((مقبرة روكستا))

"نحن نولد كي نموت"

أفزع من نومي

فأراها مأكثة تحت ظلال الأشجار

يغمرها زهرٌ مُبهم

لا ينسلُّ إليه النحل
تصفعُ وجهي امرأة
تعكسُ أجساداً تُفنى
تخرجُ منها أسماكٌ وطيورٌ
تحفرُ وحشَّتها في أسماءٍ فوق الصخر.
في حضرتها، أتوسدُ حُضنَ الشُّبَّاكِ
أنادي من خلفِ دُخانِ التَّبغِ : غريباً كانَ
صندوقُ اليوم المنحوت
بمعادلةٍ ستّينيّةٍ.
الضوءُ ورائي، وأنا اكبرُ منها
أصفعُها، أرْكُلُها
إبصقُ فوق ضفائرها المجدولة
أبحثُ عن آدمَ في باطنها فتجيبُ
ضاحكةً: إنَّكَ لي، أضحكُ من خلف العَنَمات
يتوارى عُمري
أرثي أيامي في كاسِ
حولي تلتفتُ الأصوات
عُراةً، وطبولٌ تُقرعُ في آذانِ الليل
ترمجرُ فيهم
تسألُ عن ديدانٍ مفقودة
عن ديدانٍ هَجَرَت عَتَمَةَ بيت
أو ديدانٍ أَكَلَت ليل
هذا الجسرُ الممدود
مابينَ الميلادِ وبينَ الموت
يتهاَلَكُ في عينِ الشمس
فوقَ ديببِ النملِ وتحتَ سماءِ النَحْلِ.
روكستا في ليلي
روكستا في نومي
روكستا في كلِّ بقاعِ العالم والأصقاع.



كان لحضور الفنان الكبير كوكب حمزة على الرغم من مرضه وقعاً وأثراً كبيراً على الحضور فقدم أغنية من ألحانه وكلمات الشاعر رياض النعماني بالمناسبة تذكرونا بتضحيات الشهداء وآمالهم بعراق سعيد وغد جميل لأجياله اللاحقة.



((وينك ليش غبت هواي

لحن وغناء الفنان كوكب حمزة

غيابك ذبل بقلبي العطش والمائي
وأحني شموعي كل ليلة
وأقول تمر...
وأضويها بضحكك وأنسى كل المر
وينك ليش غبت هواي

تضمك روعي وأنه أسأل
عليك الدنيا ما خلّيت
ياحبيب لون تدري
وراك البيت ما هو بيت
أخاف عليك أخاف هواي
نحلت وصرت مثل الناي
وأحني شموعي كل ليلة
وأقول تمر...
وأضويها بضحكك وأنسى كل المر
وينك ليش غبت هواي

أثر أيدك على بالي
جرح بالروح مرافقتي بغربتي
ما أظنه يروح
وينك يا وطن يبقى العمر مذبح
درنه الدنيا كلها
وين بعد نروح
أخاف عليك أخاف هواي
نحلت وصرت مثل الناي
وأحني شموعي كل ليلة
وأقول تمر...
وأضويها بضحكك وأنسى كل المر
وينك ليش غبت هواي
وينك ليش غبت هواي))

صفق الحاضرون تحية للفنان كوكب حمزة لمشاركته المؤثرة.
شكرت السفارة جميع الحضور لتبليغهم الدعوة، مؤكدين على أن ما مر به العراق من مآسي وجرائم
ومقابر جماعية لا يمكن أن تحول دون عودة العراق إلى واجهة الحضارة البشرية.
مجداً لشهداء الوطن جميعاً..
والخزي والعار للجلادين والمجرمين القتلة.